البحث عن الآثار

الدكتور تقي الدباغ

١

تختلف المواقع الاثرية باختلاف طبيعتها والازمنة التي تعود اليها والحضارات التي تمثلها ولكل موقع اثرى مزاياه الخاصة به ولا يوجد موقعان اثريان متشابهان تمام الشبه في قطر واحد ويشتد التباين في نوع مواقع الآثار من قطر لاخر لاختلاف مظاهر الحضارة بينها ومع ذلك يمكن القول ان الكهوف والتلول الاثرية والنصب التذكارية والقلاع الحربية والمدافن وشرفات الانهار هي الانواع العامة للمواقع الاثرية التي تلاحظ بكثرة من قبل الباحثين عن الآثار والمنقبين فيها .

فالكهوف والمآوي الصخرية تكثر في المناطق الجبلية حيث تظافرت العوامل الطبيعية على تكوينها واستفاد الانسان من وجودها الطبيعي بالالتجاء اليها لحماية نفسه من العدو ومن قسوة البيئة الطبيعية وخصوصا في العصور الحجرية . ان الانقاض الموجودة في داخل الكهوف تكون نوعا خاصا من المواقع الاثرية يختلف عن مواقع التلول فالباحث عن الآثار لا يجد في الكهف جدرانا أو أي شكل من اشكال المباني بل يرى طبقات متعاقبة لانواع مختلفة من التربة تجمع كل نوع منها بطرق جيولوجية في فترة طويلة جدا من الزمن وفي هذه التربة يعثر على جميع المواد التي اضاعها سكان الكهف أو دفنوها في اوقات مختلفة وبقيت سالمة تحت تأثير الاحوال الطبيعية المحلية . ان الطبقة الواحدة التي تتميز بنوع خاص من التربة تبلغ في بعض الاحيان نصف المتر في سمكها ونلاحظ التغييرات في المواد الاثرية وبقايا عظام الحيوانات في القسم العلوى والسفلي من هذه المنطقة ومن المفيد ان يكون التنقيب في مثل هذه الكهوف حسب طريقة المربعات الشبكية على ان تكون وحدات الحفر صغيرة جدا (٢٠ سم مثلا طولا وعمقا) وعندما تظهر علامات التغيير بين نوعين من التراب فينبغي ان تعتبرها خطا فاصلا بين طبقتين وفي الحفريات المنظمة يظهر خط الانتقال من طبقة لاخرى على جدران الخندق المحفور . ان كل ما يعثر عليه في وحدة الحفر يجب ان ينظف ويغسل ثم يسجل واذا كان عدد الالات الحجرية كبير جدا كما هي الحالة في اكثر الكهوف فلا ضرر من الاستغناء عن

بعض الآت النواة والشظايا والنصال بعد تسجيلها في التقرير العام ولا ضرر ايضا من الاستغناء عن المخلفات العظمية اذا صعب تميزها كمواد اثرية أو اذا كانت عديمة الفائدة لاختبارات كربون ١٤ الاشعاعي • وما هو جدير بالذكر ان الكهوف تقع في اماكن وعرة تصعب فيها المواصلات وتقل الايدي العاملة لعدم وجود قرى قريبة منها ويضاف الى ذلك ان التنقيبات في الكهوف تبدأ في مواسم الزراعة التي ينصرف اليها الفلاحون في القرى النائية وبذلك يتعذر الحصول على العمال في مثل هذه الظروف ولكل ذلك اثر مباشر على سير التنقيبات •

اما التلول الاثرية فتنتشر في كثير من انحاء العالم وبصورة خاصة في اقطار الشرق الادنى اذ تكثر في منطقة تبدأ في مصر وتتجه نحو الشمال الى فلسطين والاردن ولبنان وسوريا والاناضول وتنتهي في شبه جزيرة البلقان وفي الشرق تكثر في منطقة تبدأ في هضاب ارمينيا وتتجه نحو الجنوب الى العراق وايران وافغانستان ووادى السند ويتركز انتشارها في وادى الرافدين ولاسيما في المنطقة الهضبة المتموجة في شمال العراق لانها سبقت جنوب العراق في الزراعة • تضم هذه التلول في بطونها اثاراً تعود احيانا لازمان عديدة ومن الممكن ان نجد تفسيرا لظاهرة هذا الاستيطان المتعاقب في مكان واحد في خصوبة تربة الموقع ووجوده بالقرب من مورد ماء ولسهولة اتصاله بالاماكن الاخرى اذا كان على طريق مواصلات وللمحافظة الشديدة التي تجعل السكان الشرقيين يتعلقون بمكان سبق ان سكنه اجدادهم واذا اخرجوا منه فغالبا ما يعودون اليه • ان الفيضانات والامطار الشديدة والغزوات العسكرية أو الغارات المحلية بنطاقها الضيق هي من جملة الاسباب المؤدية الى تكرار عمليات التخريب واعادة البناء اذ تسقط الجدران او تسقط اجزاء منها على الارض وتملأ الغرف بالانقاض الى ما يقارب ثلث ارتفاعها وقبل البدء بعملية اعادة البناء يسوى سطح المكان بصورة منتظمة ثم تتخذ مخلفات الجدران القديمة اسسا لجدران جديدة وهكذا وبمرور الزمن نجد القرية او المدينة نفسها قائمة على قمة من قمم الروابي المرتفعة وخير مثال على ذلك مدينة اربيل التي استمر فيها الاستيطان الى يومنا هذا ولهذا الارتفاع فائدة كبيرة لانه يسهل الدفاع عن المدينة ويتيح للانسان مشاهدة منظر واسع لنواحي المنطقة المحيطة بها •

ترتفع هذه التلول الاثرية على سطح الارض المجاورة بعدة امتار ويتراوح قطرها بين العشرين مترا والنصف كيلو متر في بعض الاحيان اذا كانت تمثل قرية اما اذا كانت تحوى مخلفات مدينة فأن التل يبدو ممتدا في منطقة واسعة وتتميز الانقاض المتراكمة في هذه التلول بلون تربتها الداكنة اذا قورنت مع التربة الطبيعية المجاورة وتنتشر على سطحها كسور الفخار والالات والادوات المصنوعة من الحجارة والعظام والخشب والمعادن والنقود ويستدل من انتشارها على سطح التل انها موجودة في باطنه ايضا ومن المحتمل ان يعثر في باطنه على نفس المواد اضافة الى النباتات الطبيعية والحبوب الزراعية والالات الزراعية وهياكل العظم البشرية • تبدو هذه المواقع في بعض الاحيان كأنها قرى غير ثانية أو مواقع مخيمات [1] سكنها الانسان مدة قصيرة من الزمن وهي تشبه المواقع القروية الانفة الذكر من حيث المخلفات الاثرية المنتشرة على سطحها أو الموجودة في باطنها ولكنها تختلف عنها في قلة الارتفاع لان زمن الاستيطان فيها لم يكن كافيا لكي تتجمع انقاض اثرية كثيرة بنفس الكمية التي تجمعت فيها انقاض مواقع القرية الكاملة •

سكن الانسان في المواقع القروية عند خروجه من الكهوف والماوى الصخرية في نهاية عصر البلايستوسين وساعدت التطورات التي طرأت على الاته وادواته من جهة والظروف التي نجمت عن تراجع الجليد من جهة اخرى على الاستيطان المنظم في مثل هذه القرى واعتمد الانسان في المراحل الاولى من حياته القروية على الطين وحزم القصب والبردى واغصان الاشجار لبناء بيوته وعلى مر الزمن استعمل اللبن ثم الطابوق الصلد وكانت هذه القرى تتعرض في بعض الحالات الى فيضانات وعواصف شديدة أو الى غزوات حربية عنيفة تتحول بعدها الى اكوام من الانقاض وعندما يفد عليها سكان الاصليون [2] أو يدخلها مهاجرون جدد [3] يقيم هؤلاء بيوتهم فوق تلك الانقاض مستفيدين

---

١ – Safar, F., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, p. 172.

٢ – Woolley, L., Ur Excavations, Vol. IV, 1956, pp. 2—8, 19—21.

٣ – Braidwood, R., Excavations in the Plain of Antioch I, OIP, Vol. LXI, 1960, pp. 10—15, 166—168, 175—181, 204.

مما يتوفر في المكان من اسباب تيسر المعيشة وهكذا تراكمت القرى فوق بعضها [٤] الى ان هجرها اهلها نهائيا واصبحت اطلالا دراسة تجمعت عليها الرمال وظلت كذلك حتى اكتشفها الباحثون عن الاثار .

اما المواقع الكبيرة فكانت في الاصل قرى صغيرة ثم نمت وتوسعت حتى اصبحت مدنا صغيرة وظهرت اولى هذه المدن الصغيرة في عصر فجر الكتابة ثم اصبحت من المعالم الحضارية الواضحة في عصر فجر السلالات حيث اصبحت المدينة الواحدة مملكة قائمة بنفسها لها سكانها وحدودها وملكها وقوانينها الخاصة بها ومثال ذلك دويلات المدن السومرية كأور واريدو ونيبور ودويلات المدن الاغريقية مثل اثينا واسبارطة وطيبة وكورنث ودلفاى وتتميز مواقع المدن بمخلفات مبانيها الكثيرة كالبيوت والمعابد والقصور والملاهي وساحات الرياضة وسباق الخيل وتظهر في المدن التي هي احدث عهدا من المدن القديمة جدا الكنائس والمساجد والمآذن والاضرحة .

والمقصود بالنصب التذكارية العلامات التي اقامها الملوك لتسجيل اعمال تستحق التخليد كالانتصار في الحروب في مكان بعيد عن الموقع نفسه ومثال ذلك حجرة بهستون الواقعة على قمة جبل من الجبال الممتدة بين كرمنشاه وهمدان وقد اختار دارا هذا المكان لتدوين اعماله الحربية التي انتهت بالقضاء على حركة كوماتا ومقتل باردیا والثورات المحلية التي حدثت في عهده وقد سجلت هذه الاخبار بالخط المسمارى الاخميني والعيلامي والبابلي واشتغل في ترجمتها كروتفند ورولنسن [٥] وكانت مفيدة لعلماء الاشوريات في محاولاتهم لمعرفة اسرار الخط المسمارى البابلي . وامر اردشير الاول ان يخلد تتويجه ملكا على بلاد فارس في نقش رستم [٦] في الجهة الصخرية من ضواحي مدينة برسيبولس بجوار مقابر الاخمينيين بعد انتصاره على اخر ملوك البارثيين . اما اردشير الثاني فقد خلد تتويجه في نقوش طاق البستان [٧] شمال شرق

---

٤ ـ Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, 1950, pp. 6 — 50.

٥ ـ Rogers, R., A History of Babylonia and Assyria, Vol. I, 1915, pp. 61 — 105.

٦ ـ كوستنسن : ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحي الخشاب ص ٧٧ ـ ٨٠ ، شكل ٢ .

٧ ـ نفس المصدر : ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، شكل ٢٧ .

كرمنشاه على طريق القوافل القديم بين بغداد وهمدان ويذكر ان سنفرع [٨] اول ملوك السلالة الرابعة ارسل حملة عسكرية الى طورسيناء ضد احد رؤساء القبائل البدوية وسجل اخبار هذه الحملة على منحوته صخرية هنـاك وكان الغرض من هذه الحملة حماية مناجم النحاس التي يتزود منها المصريون .وارسل خوفو[٨] حملة الى بلاد نوبيه لحماية المقالع الحجرية وسجل اخبارها على مسلة. ويذكر شلنصر الثالث [٩] انه جرد حملة عسكرية الى منابع نهر دجلة في السنة السابعة من حكمه وانه انتصر في حروبه على الاعداء واقام تمثاله الملكي في ذلك المكان . وهناك نصب تذكارية ومسلات كثيرة تقام في الموقع الاثرى ولا تكون موقعا اثريا بذاته وقداقيمت لاغراض حربية أو عمرانية أو لاظهار المهارة الرياضية أو التأكيد على قوة الجيوش لبعث الرعب في نفوس الشعوب الخاضعة مثـل مسلة صيد الاسود [١٠] التى وجدت في الوركاء وهي تعود لعصر فجر الكتابة والغرض منها بيان المهارة الرياضية في الصيد ومسلة اورنانشيه[١١] التي وجدت في مدينة تلو وتعود الى عصر فجر السلالات وتعتبر من المسلات التى تخلد اعمالا عمرانية اذ يشاهد الملك في احد المناظر وهو يضع حجر الاساس لبنـاء معبد جديد ويشاهد في منظر اخر وهو يحتفل بمناسبة الانتهاء من البناء ومسلة ايانا تم [١٢] ملك لكش التى اقيمت بعد الانتصار على مدينة اوما المعادية والمسلة عبارة عن حجرة حدود تفصل بين حدود دولة انتصرت ودولة غلبت على امرها والتأكيد فيها على الناحية الدينية رغم تسجيل التفاصيل العسكرية والاهميـة الدينية تظهر في مشاركة الاله ننكرسو بنفسه في الحرب وبمشاركته الفعليـة يتم النصر ومسلة نرامسن [١٣] التى وجدت في سوسه وهي تمثل انتصار هذا الملك في حروبه مع الاعداء في المناطق الجبلية .

---

٨ – Smith, W., Ancient Egypt, 1952, p. 21.

٩ – Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. I, 1927, p. 226, King, L., Bronze, Reliefs from the Gates of Shalmaneser King of Assyria, B.C. 860 — 825, 1915, p. 30, Pls. LIV — LIX.

١٠ – Lloyd, S., The Art of the Ancient Near East, 1961, p. 36. Fig. 17.

١١ – Ibid., p. 87, Fig. 49.

١٢ – Frankfurt, H., The Art and Architecture of the Ancient Orient, 1955, Pls. 34 — 35.

١٣ – Ibid., Pl. 44.

اما القلاع الحربية فتتميز بضخامة المباني ومتانة مواد البناء والاسوار العالية والابراج المنيعة وببقايا المواد الحربية فيها احيانا وتشاهد القلاع الحربية على الحدود في اغلب الحالات ومن اشهرها قلعة البتراء[١٤] وهي قلعة جبلية اغتصبها الايدوميون من الحوريين واستعملوها ملجأ لهم ثم استقر فيها الانباط في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد وبنوا فيها محطات جديدة لحراسة القوافل وعلى مر الزمن اصبحت البتراء المدينة الرئيسية على طريق القوافل بين الشام والحجاز ثم اضمحلت اهميتها التجارية وانتقلت هذه الاهمية الى تدمر • وبنى السلوقيون زمن سلوقس الاول في سنة ٣٠٠ قبل الميلاد قلعة حصينة في دورا يوروبس[١٥] المعروفة اليوم بالصالحية في منتصف الطريق بين سلوقية دجله وسلوقية الشام وتطورت هذه القلعة بصورة سريعة من مركز عسكرى الى مركز تجارى واستعملها الرومان للاغراض العسكرية لحماية حدودهم عند الفرات وفي عهد الساسانيين تحولت الى اطلال دارسة وظلت كذلك حتى بدأت فيها حفريات الاثاريين في اوائل القرن العشرين •

اما الحضر[١٦] فكانت مستوطنا لعرب البادية ومركزا دينيا لعباداتهم القديمة ثم بنى فيها البارثيون قلعة يحمون فيها حدود امبراطوريتهم المجاورة للامبراطورية الرومانية واشتهرت الحضر بمنعة اسوارها ومتانة تحصيناتها اذ كان يحيطها سور خارجى بنى باللبن بلغ قطره ثلاثة كيلو مترات يليه بعد ساحة مكشوفة سور رئيسي ضخم بنى بالحجارة المهندمة وبنيت في هذا السور ابراج مستطيلة الشكل واحيط به خندق بلغ عرضه خمسة وعشرون مترا تقريبا وهناك اثار تدل على احتمال وجود سور ثالث للمدينة •

اما المدافن فتشمل انواعا مختلفة من القبور وتوجد في داخل القرية أو المدينة في بعض الحالات وفي حالات اخرى توجد في خارجها وتتميز بالمباني

١٤ـ Kennedy, A. Petra; Its History and Monuments, London, 1925, Figs. 42, 53, 57.

وانظر القران ١٨/٨ وانظر سفر الملوك الثاني ١٤/٧ وسفر ارميا ٤٩/١٦

١٥ـ Rostevtzeff, M., et al, The Excavations at Dura-Europos, New Havan, 1944.

١٦ـ انظر سومر : العدد ٧ لعام ١٩٥١ ص ١٠٦/١٠٧ و٨ لعام ١٩٥٢/٣٧ ٥٢ و ١٨٣ ـ ١٩٥ و ٩ لعام ١٩٥٣/٢٤٠ ـ ٢٤٩ و ١١ لعام ١٩٥٥ ٣ ـ ١٤ •

الظاهرة على سطح الارض كالقباب والابراج[١٧] والمصاطب والاهرامات[١٨] وشواهد القبور وفي احيان اخرى لا تتميز اذا كانت مستوية مع سطح الارض إلا اذا كشفتها معاول الحفارين صدفة أو بعد الاسترشاد بدليل تاريخي ورد في نص مكتوب أو بدليل اثرى وجد على سطح المدفن أو بالقرب منه .

اما شرفات الانهار فهي مجارى المياه التى بنى الانسان مستوطناته قريبا منها والمعروف ان الانهار تعمق مجاريها على مر الزمن وخصوصا اذا توفرت المياه بكثرة بعد سقوط الامطار الغزيرة وقد حدث هذا في عصر البلايستوسين في الخطوط التي تقع خلف خطوط زحف الجليد وكلما عمق النهر مجراه ضاق الوادي وانحسرت المياه على الجانبين في الوادي الضيق وانخفضت السهول الفيضية المحيطة به وقل امتدادها وكان الانسان يتبع مياه النهر ليبقى قريبا منها تاركا وراءه مخلفاته في مستوطناته القديمة وهكذا نجد اقدم الاثار بعيدة عن المجرى الحديث للنهر وعلى منسوب اكثر ارتفاعا من منسوب واديه الحالي وخير مثال ذلك شرفات نهر النيل[١٩] التى وجدت فيها اثار تعود الى العصور الحجرية القديمة ففي الشرفة ٣٠ مترا وجدت اثار شيليه الصنع وفي الشرفة ١٥ مترا وجدت اثار من العصر الاشولي وفي الشرفة ٩ مترا وجدت اثار موستيرية من صنع انسان نياندرتال القديم وفي الشرفة ٣ مترا وجدت اثار موستيرية احدث عهدا من سابقاتها ووجدت اثار حجرية قديمة في شرفات الانهار والجداول في اسيا الصغرى في اماكن غير مضبوطة الطبقات . اما في العراق فلم تبذل اية محاولة حتى الان لمعرفة شرفات نهر دجلة والفرات والاثار التي تركت في سهولها الفيضية .

٢

هناك خصائص وعوامل كثيرة تميز المواقع الاثرية أو تساعد على ظهور الاثار فيها أو ترشد الباحثين للتأكد من اهميتها الاثرية فالبعض من المواقع الاثرية تكشف عن نفسها بالاثار البارزة الموجودة على سطحها بمخلفات المباني

١٧- Ghirshman, R., Iran, 1954 p. 160.

١٨- Edwards, I, The Pyramids of Egypt, 1954, pp. 35—241.

١٩- Huzayyin, S., The Place of Egypt in Prehistory; A Correlated Study of Climates and Cultures in the Old World, 1941.

الدينية والمدنية كالمعابد والقصور والنصب التذكارية واسوار الدفاع وهذه الاثار تبدو شاخصة امام الناظرين رغم مرور الاف السنوات على تشييدها ولذلك تسهل معرفتها وفي كثير من المواقع تنتشر الاثار الصغيرة مثل كسور الفخار وقطع الطابوق وقطع النقد المعدنية • ان وجود الاثار الشاخصة أو الاثار الصغيرة المبعثرة على سطح المكان يشير الى الاهمية الاثرية والى ضرورة الحفر لاحتمال وجود اثار اخرى مدفونة في باطن الموقع ومما هو جدير بالذكر ان كثيرا من المواد الصغيرة تكون عادة صعبة التمييز وقد اهملها المكتشفون والرحالة القدماء لانهم لم يدركوا اهميتها وفي السنوات الاخيرة زاد اهتمام المختصين بها فأصبحت في كثير من الاحيان خير دليل للمنقبين • وللتعرية الطبيعية اثر كبير في كشف الاثار للعيان واكثر انواع هذه التعرية كشفا للاثار هي التعرية البحرية فالالات الحجرية المعروفة بالشظايا الكلاكتونية التي تعود للعصر الحجرى القديم الادنى تعرت في انقاض عصر البلايستوسين على سواحل كلاكتون في انكلترا بفعل الامواج البحرية [٢٠] وقد اطلق هذا الاسم على الشظايا المماثلة التي وجدت في كافة انحاء العالم • وللتعرية النهرية تأثير مماثل في الكشف والانهار كانت منذ اقدم العصور ولا تزال تجتذب الانسان نحو شواطئها فبنى بالقرب منها مستوطناته وترك في تلك المستوطنات كل ماله علاقة مباشرة أو غير مباشرة بحياته الاقتصادية والدينية والفنية والاجتماعية وعلى مر الزمن اخذت مياه الانهار تزيل انقاض تلك المستوطنات فأنكشفت اثارها للعيان وخير مثال على ذلك الاثار التى كشفت عنها مياه نهر دجله في تل يارمجه بالقرب من نينوى وقد جمع منه السيد كامبل تومبسون اثناء رحلة استكشافية بعض كسور الفخار وكتب ملاحظاته عنها[٢١] • وفي المناطق السهلية المفتوحة تعمل التعرية الرياحية لنقل الرمال المتراكمة على مواطن الاثار منذ عصور قديمة والكثير من مواقع العصر الحجرى المتوسط الممتدة في شمال غرب اوربا من انكلترا الى بولنده كشفتها الرياح[٢٢] مما سهل مهمة الباحثين عن الاثار للتنقيب فيها ووجدت بعثة اثرية المانية اثناء تنقيباتها في الوركاء بقايا المباني لبيت اكيتو (دار الاحتفالات بالسنة الجديدة) التى نقلت منها الرياح

٢٠- Clark, G., Archaeology and Society, 1939, p. 40.

٢١- انظر: AAA, Vol. XX, 1933, pp. 173—174.

٢٢- Clark, G., p. 42.

الرمال المتراكمة عبر العصور ويرتقي زمن هذا المعبد الى عهد نبوخذ نصر[٢٣] ووجد هنرى لايارد بعض الالواح الاشورية المنحوتة على سطح الموقع في نمرود وكان وجودها بهذا الشكل المكشوف نتيجة الامطار والرياح[٢٤] .

ان نشاط الانسان لايقل تأثيرا عن نشاط الطبيعة في مجال الكشف عن الاثار فمنذ اقدم العصور كان الحراث مكتشفا للاثار وفي العصور الحديثة استعين بالمكائن للحراثة بنطاق واسع فأتسع مجال مثل هذا الكشف وكثيرا ما يحفر الانسان في الارض ليصنع الطابوق أو ليحفر الابار والقبور وقد يأتي بعملة هذا على مواد اثرية ويذكر ان بعض العمال العراقيين وجدوا في عام ١٩٦١ تمثالا مصنوعا من الرخام يعود الى العهد السلوقي اثناء حفر الارض لصنع الطابوق في مكان يقع بالقرب من معمل النسيج في الكاظمية[٢٥] ووجد السيد ملوان مجموعة نفيسة من العاجيات في بئر داخل القصر الشمالي الغربي في نمرود [٢٦] .

وقد يؤدى عمل الصيادين الى نتيجة مماثلة اذ يجد هؤلاء في شباكهم بعض الاثار القديمة المطمورة في قاع المياه بالقرب من السواحل وبمرور الزمن تطورت عملية صيد الاثار الى غوص منظم للبحث والحصول على الاثار المطمورة في قاع سواحل البحار وبهذه الطريقة استخرجت اثار ماينونية ومايسينية واغريقية كثيرة من قاع البحر المتوسط بالقرب من سواحل المدن الكريتية واليونانية .

ان الحياة المدنية الحديثة تستلزم القيام بخدمات عامة مختلفة كفتح الطرق ومد سكك الحديد وبناء خزانات المياه وشق الارض لمد اسلاك التلفون والكهرباء وانابيب الماء والغاز ومجارى تصريف المياه الوسخة . ان هذه الاعمال العمرانية قد تؤدى في كثير من الحالات الى كشف مستوطنات اثرية قديمة ومن الضرورى الافادة من خبرة المختصين في هذا المجال قبل الحفر واثناء الحفر وحدث ان وجدت اثار تعود الى العهد البابلي القديم والعهد الكاشي في تل محمد في مدينة بغداد

٢٣- انظر : UVB, Vol. XII — XIII, 1956, p. 35.

٢٤- Layard, Ninvah and its Remains.

٢٥- من حديث مع السيد مفتش الاثار العام في مديرية الاثار العراقية العامة

٢٦- Mallowan, M., Twenty Five Years of Mesopotamian Discovery, 1956. p. 56.

اثناء العمل لمد سكة حديد * وفي تل حرمل اراد مالك الارض بيعها لبناء البيوت فقامت مديرية الآثار العراقية العامة بشق حفر اختبارية قبل السماح له بالبيع فوجدت ما يدل على اهمية التل الاثرى ثم استمرت في التنقيب [٢٧] لعدة مواسم ونشرت النتائج .

ان الحروب تمثل الجانب الهدام من نشاط الانسان وهي بهذا الهدم والتخريب تساهم في كشف الاثار اثناء تأسيس المطارات وحفر الخنادق وبناء وسائل الدفاع ففي الخنادق العسكرية التي حفرت بالقرب من محطة النفط في (H3) وجدت الواح مكتوبة بكتابات صفوية [٢٨] . وفي وقع باناهلك في سهل رواندوز وجدت بعثة امريكية اهم اثار دور حلف في خنادق حفرت لاغراض عسكرية واجرت التنقيبات للحصول على صورة كاملة لعصر حلف [٢٩] .

ان المصادر التاريخية والكتب الدينية ترشد الباحثين الى اكتشافات اثرية مهمة فكثيرا ما يستعين منقب الاثار الحديث بملاحظات المؤرخين أو الرحالة القدماء الذين سبق لهم ان زاروا ذلك المكان أو سمعوا عنه عندما يريد البحث عن قرية أو مدينة لا يعرف مكانها أو عندما يريد البحث عن منطقة مهمة في تلك القرية أو المدينة كمقبرة المستوطن أو معابده التى بقيت مجهولة عند هيئة التنقيب رغم ظهور معالمه الاخرى فعندما اراد شليمان البدء بالتنقيبات في طروادة وما يسناى استرشد بما ورد في الالياذة والاوديسة وبما كتبه المؤرخ بوسنياس ونجح في اكتشاف تسع مدن تراكمت انقاضها على بعضها عبر التاريخ القديم في حصارلك في اسيا الصغرى وحصارلك هو الاسم الحديث لطروادة ونجح شليمان ايضا في بحثه عن مقبرة اتريوس واغاممنون ولولا هومر وبوسنياس لما استطاع شليمان ان يكشف عن اسرار الحضارة المايسنية والهوميرية [٣٠] .

---

* Sarre, F., and Herzfeld, E., Archaologische Reise in Euphrate -und-Tigris-Gebiet II, 1920, p. 95 f.

٢٧ـ انظر سومر : ١٩٤٨/٤ / ٢٩٣ ـ ٢٩٤ و ١٩٥٠/٦/١٢٣ ـ ١٤٢ و ١٩٥١/٧/١٢٩ ـ ١٦٩ .

٢٨ ـ انظر سومر : ١٨/١٩٦٢/١٦٥ وما بعدها .

٢٩ـ Braidwood, R., and Howe, B., Prehistorice Investigation in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, 1960, p. 25.

٣٠ـ Hall, H. The Oldest Civilization of Greece, 1901, pp. 1—21.

وما يقال عن اثر النصوص التاريخية في اهتمام شليمان بالحفريات في هـذين الموقعين يقال ايضا عن اثر كتّاب العهد القديم في التنقيبات التي اجراها الغربيون في المدن التي ورد ذكرها في العهد القديم مثل اور واريدو والوركاء ونينوى. ومن الجدير بالذكر ان المبالغ التى خصصت للتنقيبات التي جرت في هذه المدن ساهم فيها افراد واشتركت فيها مؤسسات اهلية بدوافع دينية .

وفي كثير من الحالات يشجع نشر نتائج الاكتشافات أو التنقيبات الاثرية على اكتشافات أو تنقيبات جديدة فالبحوث التي نشرت عن النقوش الفنية في كهوف فرنسا وشمال اسبانيا شجعت على البحث عن نقوش اخرى في اوربا وافريقيا [٣٧] ومهدت السبيل لدراسة فنون العصر الحجرى القديم . وفي عام ١٨٧٦ نشر Sayce تقريرا عن الكتابات الحيثية التي وجدها بالقرب من بوغازكوى ويازيليكايا واثار بحثه اهتمام الاخرين خلال السنوات التالية فاجريت التنقيبات في كركمش وسنجرلي وبوغازكوى وكول تپه وغيرها وعثر على المزيد من الكتابات الصورية والمسمارية وكرس المختصون جهودهم لدراستها واسفرت دراساتهم عن ترجمة اكثر النصوص التاريخية وعن وضع قواعد اللغة الحيثية[٣٢] ان الحفر الاختبارية التي شقها تايلور [٣٣] في سنة ١٩٥٤ وثومبسون [٣٤] في اريدو شجعت مديرية الآثار العراقية العامة [٣٥] على وضع خطة عامة لحفريات شاملة في هذا الموقع في سنة ١٩٤٧ .

ان اسماء الاماكن المعروفة لدى السكان المحليين والاساطير التي يتناقلونها عنها قد تلقى الضوء في بعض الاحيان على اهميتها الاثرية فتل الصوان [٣٦] الواقع بالقرب من مدينة سامراء يدل على وفرة الالات الحجرية المصنوعة من الصوان

٣١- Clark, p. 68.

٣٢- Gurney, O., The Hittites, 1952, p. — 12.

٣٣- Taylor, J., Notes on Abu Shahrain and Tell-Laham. The Journal of the Royal Asiatic Society, Vol. 15, 1855, pp. 404 — 415.

٣٤- Thompson, R., The British Museum Excavations at Abu Shahrain in Mesopotamia in 1918. Archaeologia, Vol. XX, 1920, pp. 101 ff.

٣٥- Safar, F., in Sumer, Vol. IV, No. II, 1948, pp. 115 — 125, Vol. V, No. II, 1949, pp. 159 — 168.

٣٦- Sumer, Vol. XXI, No. 1 & 2, 1965, pp. 17 — 32, Pls. I — XXXVI.

والصوان هو المادة التي كان الانسان في العصور الحجرية القديمة يصنع منها الشظايا والنصال وبعض الادوات وقد شجع هذا الاسم مديرية الاثار العراقية العامة على قيامها بالحفريات خصوصا بعد ان وجدت لقى اثرية حجرية كثيرة مبعثرة على سطح التل • ويستدل من الكهف المعروف بأسم هزار مرد على ان للمكان صلة اسطورية بالف رجل ويفهم من التل المعروف بأسم تل النقود (٣٧) في انكلترا بأن للمكان علاقة بالكنوز الذهبية التي اعتقد الناس انها مدفونة فيه وخير مثال على علاقة الاسم بمحتوى المكان موقع كوستنكي على نهر الدانوب الذى يعتبر من المواقع المشهورة لكثرة ما وجد فيه من عظام الماموث وتعني كلمة كوستنكي Kostenki قرية العظام وترتبط بهذه القرية اساطير كثيرة منها اسطورة العملاق اندر الذي جاء مع صغاره الى هذه القرية واراد عبور نهر الدانوب ولم يستطع عبوره فشرب ماء النهر ثم التفت الى صغاره ليعبر بهم فانفجر وتطايرت عظامه وانتشرت في الاماكن التى يعثر عليها الان(٣٨) • ووجدت بعثة دانسركية (٣٩) اثناء حفرياتها في تل شمشارة الواقع بالقرب من رانية رقم طينية مسمارية عرف منها ان اسم الموقع هو في الاصل شوشرة(٤٠) ولكنه حرف بمرور الزمن فأصبح شمشارة •

٣

ويتم كشف الاثار بقيام المختصين بالتفتيش الدقيق عن الاثار في المنطقة التى يراد الحفر فيها ويستلزم هذا التفتيش السير على القدم في كل شبر من تلك المنطقة لجمع ما يتيسر جمعه من اللقى الاثرية الصغيرة • ان هذا التفتيش هو الخطوة الاولى التي تسبق عادة وضع خطة عامة للحفر والغرض منه هو تحديد مكان الاثار وتعيين طبيعتها وتقدير اهميتها لانتخاب اكثر المواقع انتاجا واقلها كلفة • والطريقة المفيدة في التفتيش تنطوى على تقسيم هيئة الكشف الى مجموعات تتألف الواحدة منها من عضوين او ثلاثة اعضاء ويعهد الى كل مجموعة

٣٧- Clark, p. 69.

٣٨- Clark, pp. 70 — 71.

٣٩- Ingholt, H., The Danish Doken Expedition, Sumer, Vol. XIII, 1957, pp. 214 — 215.

٤٠- Laessoe, J., An Old Babylonian Archive Discovered at Tell Shimshara, Sumer, Vol. XIII, 1957, pp. 216 — 218.

بالبحث في قسم معين من المنطقة توضح حدوده على خريطة خاصة تعد لهذا الغرض وعلى رئيس هيئة التفتيش ان يستأذن صاحب الارض التى يريدالتفتيش فيها ويوصى المفتشين بتجنب الحاق الاضرار بالمزارع والممتلكات الاخرى وبتأسيس علاقات طيبة مع القروين والاهتمام بالمواد الأثرية التي توجد في حوزتهم من حيث تسجيلها ووصفها وتصويرها • اما الالات والادوات الضرورية للباحث في هذه المرحلة فيجب ان تكون قليلة العدد وخفيفة الوزن بحيث يسهل حملها في حقيبة صغيرة كالبوصلة لمعرفة الاتجاهات الطبيعية وشريط القياس الهندسي ومعول صغير لاجراء حفريات مستعجلة وآلة تصوير ورقوق لسحب الصوروسطار المحفر وفرشة صغيرة لتنظيف اللقى الاثرية من الاوساخ واكياس لجمع الملتقطات ومواد قرطاسية ويمكن اضافة الات وادوات اخرى لتغطية الحاجات المحلية اذا دعت الضرورة الى ذلك • ولا ينتهي واجب المفتش عند جمع اللقى الاثرية بل عليه ان يبين جميع المعلومات الضرورية عن المواقع الاثرية التي يكشفها اثناء جولته التفتيشية واهم المعلومات المطلوبة هي :

١ ــ اسم المكان وموقعه الجغرافي : يمكن استخدام اية طريقة لتعيين مكان الموقع اثناء التفتيش بحيث يستطيع المنقب فيما بعد الوصول اليه وعلى سبيل المثال ينبغي ان يقال ان موقع كردقبي أى تل القبة يقع على بعد نصف كيلو متر شمال قرية زونك التابعة لناحية سنكەسر في قضاء رانية بلواء السليمانية ويجوز ذكر رقم الموقع مضافا اليه اسم الناحية واللواء فيقال الموقع الخامس والثلاثون من مواقع ناحية سنكەسر بلواء السليمانية وفي هذه الحالة يجب وضع قائمة بالارقام المتسلسلة للمواقع الاثرية المكتشفة في كل منطقة •

٢ ــ المقاطعة : ويشار اليها عادة باسم المالك الذى يوجد التل الاثرى في ارضه واذا وجد اسم خاص للمقاطعة فيفضل ذكره الى جانب ذكر اسم المالك ومعرفة مالك الارض تساعد على الاتصال به والاستئذان منه بالتفتيش والتنقيب كما تساعد على ضبط مكان التل وتحديد كيفية الوصول اليه واذا كان للمقاطعة مالك سابق فلا بأس من ذكر اسمه للافادة من معلوماته عن تاريخ الموقع والتغيرات التى جرت عليه واللقى الاثرية التى جمعت منه •

٣ ــ وصف الموقع : ان الموقع الاثرى يمكن ان يكون تلا من التراب تنتشر الاثار على سطحه أو توجد في باطنه أو اطلالا دارسة لمدينة صغيرة أو نصبا تذكاريا أو مقبرة أو كهفا في جبل وفي بعض الاحيان يوجد الموقع في مكان منعزل عن طريق المواصلات الرئيسية ولا يمكن الوصول اليه الا في زوارق أو على ظهر الحيوانات ومن الضرورى الاشارة الى اقرب مورد للماء العذب لاستعماله من قبل هيئة التنقيب .

٤ ــ الخريطة وهي ضرورية لمعرفة مكان الموقع وما يتصل به من طرق مواصلات وقرى وجداول وجبال واهوار وبحيرات ومواقع اثرية اخرى ويفضل ان ترسم هذه الظواهر الطبيعية بالدقة والتفصيل على مقياس صغير : ١/٢٠٠ أو ١/٥٠٠ ولا بأس من استعمال خرائط دوائر الاثار ان وجدت وان لم توجد فالخرائط الجيولوجية أو خرائط دوائر التسوية أو الاصلاح الزراعي أو المساحة .

٥ ــ الارتفاع ويقصد به ارتفاع الموقع بالنسبة الى مستوى سطح البحر ويعرف هذا الارتفاع من قراءة خطوط الارتفاعات المتساوية على الخرائط الطوبرغرافية أو بأستعمال جهاز لتسجيل الارتفاع .

٦ ــ القياسات وتشمل سعة التل بمعرفة طوله وعرضه وارتفاعه فوق مستوى السهل المجاور اما العمق فيعرف اذا كان الموقع مقطوعا بجدول ماء أو طريق مواصلات أو اثناء التنقيب في الحفر الاختبارية وقد يتعذر على المفتش احيانا ضبط عمق الموقع في مرحلة الكشف لكثرة الانقاض .

٧ ــ النباتات الطبيعية والمزروعة النامية على سطح الموقع أو بالقرب منه تربط الماضي بالحاضر من حيث المناخ ونوع الطعام الذى كان يستعمله سكان الموقع القدماء بعد مقارنتها ببقايا النباتات والحاصلات الزراعية المستخرجة من الموقع ويضاف الى ذلك فأن معرفة نوع المزروعات وعدد السنوات التي زرعت فيها تربة الموقع تشير الى الفصل الملائم للبدء بالتنقيب وتوضح التغيرات التي طرأت عليه .

٨ ــ حالة الموقع : ان بعض المواقع تبدو في حالتها الطبيعية لم يطرأ عليها أى تخريب أو هدم وتوجد مواقع اخرى تعرضت للتغيير بتأثير الفيضانات والزلازل فتهدمت اقسام منها أو انتقلت بعض موادها الاثرية من مكان

الى اخر وهناك مواقع تعرضت لاعمال اللصوص التخريبية للافادة من احجارها أو طابوقها أو بحثا عن الاثار النفيسة والحلي الذهبية المدفونة فيهـــا .

٩ ـ تربة الموقع : تختلف تربة المواقع من منطقة لاخرى اذ تكون هشة في مكان وصلبة في مكان اخر وصخرية في المناطق الجبلية . ان ذكر الملاحظات عن مدى مقاومة التربة للحفر يعين هيئة التنقيب على اختيار الالات المناسبة للحفر . ومما تجدر الاشارة اليه في هذا الصدد ان لون تربة التلول الاثرية ويكون داكنا لوجود الاوساخ والرماد فيها اما لون التربة المجاورة لهـا فيكون طبيعيـا .

١٠ـ المخلفات الاثرية : ان الآثار البارزة تكون عادة ركاما لمباني أو رسوما منقوشة على جدران الكهوف أو مدافن متنوعة الشكل والطـراز وفي جميع هذه الحالات يفترض بالمفتش ان يذكر عددها وقياساتها ويضع رسومها ويسحب صورها اما اللقى الصغيرة التي يعثر عليها على سطح الموقع أو بالقرب منه او تستخرج من حفـر اختبارية شقت فيه فينبغي جمعها في اكياس صغيرة بعد تسجيل المعلومات الضرورية عنها لدراستها فيما بعد لمعرفة اهميتها . اما الاثار التي توجـد عنـد الهواة المحليين فيكتفي بذكر المعلومات المهمة عنها مشفوعة بالرسوم والصور .

١١ـ المصادر : ويقصد بها الكتب والمقالات التي لها صلة بالموقع أو المنطقة التي تشملها خطة التفتيش من الناحية التاريخية والجغرافية والجيولوجية والانثروبولوجية .

١٢ـ اهمية الموقع وتعرف هذه الاهمية بعد فحص اللقى الاثرية ودراسـة تقرير المتفتش عنها وعن المخلفات الاثرية الاخرى لتعيين محتوى الموقع الحضاري ومعرفة تاريخه وبهذه الدراسـة يستطيع الباحث ان يعرف مثلا ان الموقع الذى اكتشفه هو من مواقع العصر الحجرى الحديث أو مستوطنا سكنه البابليون والاخمينيـون والبارثيـون والساسـانيون والمسلمون بالتعاقب .

١٣ـ معلومات اخرى : وتشمل قائمة باسماء المواد المكتشفة وتوصية بتفتيش اضافي أو المباشرة بالتنقيب كما تشمل اسم المسجل للاستفسار منه عند الضرورة عن كل ما هو غامض في تقريره اذا دعت الحاجة الى ذلك .

٤

بعد الانتهاء من تفتيش المواقع الاثرية تبدأ مرحلة اختيارهـا للحفـر ويتحدد هذا الاختيار بالغرض من التنقيب فاذا كان القصد منه استخراج اثار موقع معين لاستجلاء مظاهر حضارية فيفضل اختبار تل مرتفع وذى رقعة واسعة بعد دراسة المعلومات التى تتوفر في مرحلة التفتيش لان مثل هذا التل تتوفر فيه فرص وجود طبقات السكن المتتالية ممـا يسـهل توضيح تطـور الحضارات في ازمان متعاقبة ومن هذه المواقع تبة كورا [٤١] وتل الاربجية [٤٢] واريدو [٤٣] وقد اختارت الموقع الاول بعثة امريكية بادارة الاستاذ سبايزر ثم بادارة الاستاذ توبلر والموقع الثاني بعثة انكليزية بادارة الاستاذ ملوان والموقع الثالث مديرية الاثار العراقية العامة وكان الاعتماد في هذا الاختيار مستندا الى دراسة الاثار المبعثرة على سطح المكان في كل حالة .

ويجرى التنقيب لحل مشكلة معينة كالبحث عن اثار تسد ثغرة بين عصر واخر للحصول على اثار جديدة تمثل العصر المجهول أو للتأكد من اثار دور من الادوار وفي مثل هذه الحالات يفضل التنقيب في عدة مواقع لمقارنة اثارها بأثار العصر السابق واللاحق فالبعثة الامريكية التابعة لجامعة شيكاغو اختارت قلعة جرمو [٤٤] في محاولة للبحث عن اثار سبق العصر الحجرى الحـديث في تل حسونة وكان اعتمادها في هذا الاختيار قائما على دراسة الآثار المنتشرة على سطح الموقع وقامت بالحفر في عدد من المواقع الصغيرة الاخرى مثل كرد على اغا وتل الخان ومطارة وبانا هلك وكريم شهر وتل الملفعات .

٤١ـ Speiser, E., Excavations at Tepe Gawra, Vol. I, Levels I — VIII. Philadelphia, 1935; Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Levels IX — XX, Philadelphia, 1950.

٤٢ـ Mallowan M. and Rose, J., Prehistoric Assyria. The Excavations at Tell Arphachiyah, Iraq, Vol. II, 1935, pp. 1 — 178.

٤٣ـ Safar, F., Excavations at Eridu, Sumer, Vol. III, No. 2, 1947, pp. 100 — 111.

٤٤ـ Braidwood, R. and Howe, B., Prehistoric Excavations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, 1960, pp. 33 — 54.

واختارت مديرية الاثار العراقية العامة تل حسونة لحل مشكلة الاثار التي وجدت في الطبقة الاولى في نينوى فاللقى الاثرية التى جمعت من التل اثناء التفتيش في عام ١٩٤٢ كانت تشمل كسرات من الفخار سبق ان استخرج مثلها في الطبقات السفلى في نينوى واسفرت تنقيبات المديرية في عام ١٩٤٢ و١٩٤٣ عن معرفة حضارة جديدة عرفت بحضارة حسونة شملت ما كان معروفا منها في نينوى .

ويجرى التنقيب احيانا لاستيضاح بعض القضايا التي وردت في نصوص مكتوبة مثل التنقيب في مدينة نفر السومرية التي اختارتها بعثة امريكية مشتركة من جامعة شيكاغو وجامعة بنسلفانيا لاستظهار معبد الاله انليل وزوجته الالهه ننليل اذ ورد ذكر هذا المعبد في رقم طينية وجدت في زمن سابق في نفس الموقع وقد اسفرت حفريات البعثة عن كشف المعبد المطلوب اضافة الى معابد اخرى واستمر العمل للحصول على المزيد بناء على الاكتشافات الجديدة . ان ظاهرة استمرار الحفر لمدة اطول من المدة التي حددتها هيئة التنقيب تتضح عندما تتوسع التنقيبات وتتجه نحو مظاهر حضارية جديدة يبرز منها قسم ويبقى القسم الاخر مدفونا في التراب الامر الذى يتطلب العود لاستكمال الحفر وقد تدعو الحاجة الى استمرار العمل في مواسم عديدة وفي بعض الاحيان توقف البعثة الاثرية اعمالها قبل الوصول الى النهاية كما حدث للبعثة الامريكية في تبة كورا وللبعثة الانكليزية في تل الاريجية .

ويجرى التنقيب لانقاذ الاثار المعرضة للسرقة او ألمهددة للهدم عند فتح الطرق والقنوات والجدوال وتشييد الدور أوالاثار المعرضةللغرق عندبناءمشاريع الرى . ان المواقع الاثرية في منطقة ديالى[٤٥] كانت من جملة المواقع التي عبث بها اللصوص وقد انتشرت اخبار سرقة التماثل السومرية الكبيرة منها بعد الحرب العالمية الاولى وعلمت جامعة شيكاغو بأهمية الموقع فأختارت تل خفاجي وتل اسمر للتنقيب وكانت موفقة في اختيارها اذ عثرت على الكثير من

٤٥ـ rankfort, H., Tell Asmar, Khafaje, and Khorasabad, OIC, No. 16, Chicago, 1933; Iraq excavations of the Oriental Institute 1932 / 33. OIC, No. 17, Chicago, 1934; Oriental Institute Discoveries in Iraq 1933 / 34, OIC, No. 19, Chicago, 1935: Progress of the Work of the Oriental Institute in Iraq 1934 / 35, OIC, No. 20, Chicago, 1936.

الآثار النفسية التي القت ضوء جديدا على تاريخ العراق القديم • ان اكثر التنقيبات التي تمت وفق الطرق القديمة في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين[٤٦] في نينوى وخرساباد وبابل ونمرود وغيرها جرت بعد ان ثبت لدى المنقبين استخراج الآثار منها بطريق الصدفة أو بالحفر غير المشروع• اما التنقيبات التي قامت بها مديرية الآثار العراقية العامة في تل حرمل[٤٧] فكانت لانقاذ آثارها من الهدم حين اراد مالك الارض بيعها لبناء الدور عليها وقد استمرت المديرية بالحفر في عدة مواسم بعد ان تأكدت من اهمية التل اثناء فتح الحفر الاختبارية فيه وتوصلت الى نتائج مثمرة جدا وخصوصا بأكتشاف الواح الرياضيات والقوانين • وتسارعت مديرية الآثار العراقية العامة لانقاذ الآثار في حوض دوكان[٤٨] قبل ان ينغمر بالماء ويصبح خزانا وفق مشاريع الرى فأجرت الحفائر في عدة مواقع منها تل شمشارة الذى بدأت فيه بعثة دانماركية وتل بازموسيان وتل كمريان وتل قوره شينه ومما يؤسف له ان عملية الانقاذ لم تكن كاملة ولعل ضيق الوقت هو الذى حدد القليل منها • ومما هو جدير بالذكر في هذا الصدد الاعمال التي قامت بها حكومة الجمهورية العربية المتحدة ومنظمة اليونسكو التابعة لهيئة الامم المتحدة لانقاذ اثار النوبة التي ستغمرها مياه سد اسوان الى الابد • وفي حالة القيام بحملة لانقاذ الآثار المعرضة للاخطار يجب اختبار اكثر المواقع عرضة للتدمير وعند تعدد هذه المواقع ينبغي اختيار اكثرها اهمية وعامل الزمن له تأثير قوى في هذا الاختيار ويجب التعجيل في الانقاذ قبل حدوث التدمير اما الآثار التي لا يمكن نقلها فيجب تسجيل جميع المعلومات الضرورية عنها مقرونة بالرسوم والمخططات والصور •

وتجرى الحفائر احيانا لتدريب طلاب الآثار لاكتساب الخبرة والمهارة اللازمة لادارتها في المستقبل ويتم هذا التدريب باشراف رئيس هيئة التنقيب وفي هذه الحالة يختار رئيس الهيئة موقعا اثريا مشابها لموقع تم التنقيب فيه سابقا ليتسنى له صرف اكثر وقته على عملية التدريب نفسها • واذا تعذر التدريب

٤٦- Handkcock, P., Mesopotamian Archaeology, London, 1912, pp. 40 — 84.

٤٧- انظر سومر : ٤/١٩٤٨/١٤٢ - ١٤٣ و ١٥٣ - ١٧٣ و ٢٩٣ - ٢٩٤ ٦/١٩٥٠/١٢٣ - ١٤٢ ٧/١٩٥١/١٢٩ - ١٦٩ .

٤٨- انظر سومر : ١٣/١٩٥٧/١٩٧ - ١٩٩ ، ١٥/١٩٥٩/١١٤ - ١١٥ و ٢١٤ - ٢١٥ .

في المواقع الاثرية الحقيقية فلا بأس من تدريب الطلاب في حفريات اصطناعية وتنظم هذه الحفريات بجمع المواد الاثرية من عصور مختلفة ثم تدفن في وضع عمودى وفي طبقات متعاقبة على بعضها بحيث تمثل تسلسل العصور التي تعود لها ثم تغطى بالتراب ويبدأ الطلاب باستخراجها ثم بوصفها ورسمها وتصويرها وبيان تاريخها واهميتها الحضارية ويفضل نشر نتائج دراساتهم في تقرير خاص.

بعد ان يتم اختيار الموقع المناسب توضع الخطط لتخمين المبالغ اللازمة للصرف على شؤون التنقيب وتشمل هذه المصروفات رواتب اعضاء هيئة التنقيب واجور العمال وثمن الالات والادوات وتكاليف النقل والشحن والنشر ويفضل ان يؤخذ بالحسبان استمرار الحفر في اكثر من موسم واحد ومن المفيد جدا ان تبدأ الحفائر في موسم يخلو من سقوط الامطار لانها تؤثر تأثيرا سيئا على اعمال الحفر . اما المصادر التى تتعهد هذه التنقيبات فلا تخضع لقاعدة خاصة فقد تتعهدها جامعة او متحف أو مؤسسة خيرية او يتبرع بها الافراد تشجيعا للبحث عما بقي مجهولا من مظاهر الحضارة لدراستها وفق مناهج التعليم او لعرضها على الجمهور للاستطلاع والتثقيف وفي كثير من الاحيان تتعهدها الدول القومية للعناية بتراث الامة وتشجيع السياحة فتصبح مستوطنات الاثار مفخرة قومية وموردا للدولة لانها تجذب الزائرين الاجانب بشهرتها التاريخية .

ان هيئة التنقيب يجب ان تضم مديرا من ذوى الاختصاص في حقل الاثار يساعده شخص تتوفر فيه مؤهلات مماثلة وعدد من العمال الماهرين الذين سبق لهم وان اشتركوا في تنقيب مواقع اثرية فاكتسبوا الخبرة بالمران ويضاف الى هؤلاء عدد من المشرفين ويفضل ان يكون هؤلاء من طلاب الاثار لانهم يتميزون بالدقة في مراقبة العمل وبنفس الوقت يكتسبون خبرة تفيدهم في ممارسة اختصاصهم في المستقبل وقارىء للخطوط القديمة وشخص له دراية بدراسة النقود ومن الممكن اذا اريد الاقتصاد بالنفقات دمج هذه الاختصاصات ببعضها والاكتفاء بعدد قليل يتولى التنقيب ولكن من الضرورى جدا تقسيم العمل في جميع الحالات لتحديد المسؤولية .

وبعد تأليف الهيئة ينبغي تحضير عدة التنقيب من مجموعة ضخمة من الالات والادوات التي يتحدد عددها ونوعها بالمقدرة المالية المتوفرة لدى بعثة التنقيب وبطبيعة الموقع وطرق الحفر ووسائل النقل والخزن . ويمكن تصنيف

اكثر الالات والادوات شيوعا في الاستعمال من قبل هيئات التنقيب حسب الحاجات الخاصة بالحفر والمسح الهندسي والمعالجة والتسجيل والتصوير والنشر ويفضل اقتناء الحديثة منها •

ويجب وضع خطة واضحة بالتنقيب ورسم المعالم الطبيعية للموقع الاثرى على خارطة توضح فيها نقطة السيطرة وخطوط الارتفاع المتساوية بدقة وفق مقياس معين قبل المباشرة بالحفر • ان نقطة السيطرة هي النقطة التي تقاس كافة المسافات والاتجاهات بالنسبة اليها ومن الافضل تثبيت مكانها في زاوية من زوايا الموقع ولا يستحسن وضعها في وسط الموقع لان الحفريات قد تتوسع وتزيل وجودها فتضيع عند ذاك كافة حسابات المسافات والاتجاهات واذا وجدت في الموقع شجرة او صخرة قائمة في مكان بعيد نسبيا عن منطقة الحفر فلا بأس من وضع علامتها هناك ويفضل ان تكون العلامة بشكل خطين متقاطعين في داخل مربع او دائرة ويجبذ صبغ العلامة بدهان احمر او ابيض اللون لحمايتها من الصدأ ولتمييزها عن غيرها واذا خلا الموقع من مكان طبيعي مناسب فلا مانع من وضع العلامة على وتد معدني يثبت اسفله في الارض واذا استعملت الات مغناطيسية لضبط الاتجاهات فيجب ان لا يكون الوتد من الحديد • اما خطوط الارتفاع المتساوية فيفضل ان تكون الزيادة بين الواحدة والاخرى منها بمقدار نصف قدم او قدم في الارتفاع لتوضيح مرتفعات الموقع بدقة •

وتقسم المنطقة التي يراد الحفر فيها الى مربعات لتسهيل عملية الحفر ولتعيين مكان الاثار المكتشفة وبموجب هذه الطريقة تقسم المنطقة الى اربعة اقسام بمد حبلين أو خطين متقاطعين تقاطعا عموديا ثم تقسم هذه الاقسام الى وحدات اصغر مساحة بنفس الطريقة وينبغي ان تكون المسافة بين خط او حبل واخر قصيرا بحدود خمسة اقدام مثلا اذا كانت منطقة الحفر صغيرة واكثر طولا اذا كانت واسعة ويجب تمييز كل مربع برقم أو حرف يسجل على وتد يدخل في زاوية من الزوايا •

اما طرق الحفر فتختلف باختلاف طبيعة الموقع والغرض من التنقيب وعلى العموم يمكن القول ان اهم الطرق المطبقة في الوقت الحاضر هي طريقة حفر الاختبار وطريقة الخنادق وطريقة المدرجات وطريقة الوحدات وطريقة طبقات المباني •

ان حفر الاختبار تفتح في مرحلة التفتيش في اماكن مختلفة من الموقع دون ان يكون لها شكل او نظام خاص والهدف الرئيسي منها هو جس التربة للتأكد من اهميتها الاثرية تمهيدا للبدء بالتنقيبات • ان هذه الحفر تعطى فكرة اولية عن نوع الاثار الموجودة في المستوطن وعن ازمانها ولايمكن التعويل على نتائجها باعتبارها تنقيبات كاملة • ان مايرد عنها من معلومات في تقارير المفتشين ترشد الباحثين للبدء بالحفر او تقنعهم بصرف النظر عنها واذا بدأت الحفريات فان تلك الحفر لا تبقى على حالتها بل تتناولها الحفريات وتصبح جزء من خطة التنقيب الشاملة • ان جميع التنقيبات التي قامت بها الهيئات المختصة في كافة المواقع بدأت بحفر الاختبار وانتهت بالنتائج المذكورة في التقارير المنشورة عنها •

وتفتح الخنادق حيث توجد اللقى الاثرية الصغيرة وانقاض المباني الدارسة والغرض من فتحها هو جس الموقع تمهيدا لاجراء التنقيب فيه ويفضل انلا يكون الخندق مستطيلا في الشكل لان التنقيب في مثل هذا الخندق يمتد باتجاه واحد ويترتب على ذلك الحصول على نتائج غير كاملة أو نتائج متماثلة ولذلك ينبغي التنقيب في خندقين متقاطعين احدهما عمودى والاخر افقي بهيئة صليب او الحفر في خندق عمودى يلتقى بخندق اخر افقي عند منتصفه او عند طرف منه مثل شكل الحرف T او L الانكليزية واكثر الخنادق انتاجا هو ماكان بشكل حرف S الانكليزية لان الحفائر تمتد فيه الى عدة اتجاهات ومن الممكن ان تكون الخنادق بشكل مربعات متصلة او متوالية يوصل بينها اذا اثمرت ومن الممكن ايضا فتح الخندق باى شكل اخر تفرضه طبيعة الموقع الاثرى ويفي بغرض الحصول على اكثر ما يمكن من الاثار • ولحفر الخنادق مزايا كثيرة اهمها ان تبين فكرة عامة عن محتويات الموقع وتوضح فيه تعاقب الطبقات وتسهل على المنقب العمل وتوفر له الوقت لان الحفائر تتركز في منطقة صغيرة المساحة يحكم فتحها وضبط طبقاتها وغلقها عند الانتهاء منها• في كثير من الاحيان يكتفي المنقبون بالنتائج التي توصلوا اليها من هذه الحفر الاختبارية كما حدث في تنقيبات بعثة بريطانية في تل الاربجية اذ جرت فيه الحفائر في منطقتين الاولى في سفوح التل والثانية في التل نفسه حيث استمر الحفر الى مستوى السهل المجاور في انقاض بلغ عمقها خمسة امتار ونصف المتر قسمت الى عشرة خنادق

وجدت في كل منها اثار لدور السكن [٤٩] . وفي تل قره يتاغ الذي يبعد نحو اربعة كيلو مترات من قرية مطارة التي تقع على بعد ٣٤ كيلو مترا الى الجنوب من مدينة كركوك اجرت بعثة امريكية تابعة للمعهد الشرقي في جامعة شيكاغو تنقيباتها في ثلاثة عشرة خندقا اختباريا رئيسيا اضافة الى خندق اختبار متدرج في مختلف الاقسام المهمة من الموقع واهم النتائج التي اسفرت عنها اعمال الهيئة اكتشفت في خندق الاختبار السادس والتاسع [٥٠] . وفي احيان اخرى يتخذ خندق الاختبار وسيلة للربط بين منطقتين بعيدتين عن بعضهما للحصول على فكرة متكاملة عن النتائج ففي تل حسونة بدأت التنقيبات في مكانين الاول في القسم الجنوبي من التل حيث استمر الحفر الى عمق سبعة امتار من سطح الارض في سبع طبقات والثاني في القسم الشمالي من التل حيث استمر الحفر الى عمق عشرة امتار من سطح الارض في ثمان طبقات ثم ربط بين المكانين بخندق اثبتت الحفريات فيه تعاقب الادوار الحضارية في خمس عشرة طبقة بصورة منظمة [٥١] .

اما الحفر المتدرج فيكون في المواقع الاثرية ذات التربة الصلبة في المناطق الجبلية وحيث يكون الانحدار شديدا ويتم الحفر في منطقة معينة لمسافة عشرة امتار طولا ونصف المتر عمقا على ان يحافظ على استقامة واستواء جانب واحد من جوانب هذه المنطقة لملاحظة التغييرات في لون التربة ونوع مواد البناء ، ثم تحفر منطقة اخرى بجوار المنطقة الاولى وباتجاه انحدار التل وبنفس الطول ونفس العمق وهكذا حتى القاع الصخرى فتبدو منطقة التنقيبات على شكل مدرجات متتالية تنتظم الواحدة بجوار الاخرى من الاعلى الى الاسفل [٥٢] . ان هذه الطريقة تساعد على الاقتصاد بالنفقات والتوفير بالوقت والحصول على نتائج كثيرة في منطقة صخرية يصعب الحفر فيها وهي بنفس الوقت تحكم ضبط الطبقات ومكان الاثار غير انها تستلزم استخدام عدد كبير من العمال .

٤٩- Lloyd, S., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945, pp. 260 — 261.

٥٠- Mallowan, M. and Rose, J., Iraq, Vol. II, 1935, pp. 11.

٥١- Braidwood, R., Smith, L., and Leslic. J., Mattara, A. South variant of Hassuna Assemblage Excavated in 1948, JNES, Vol. XI, No. 1, 1952, pp. 1 — 75.

٥٢- Ingholt, H., Sumer, 1 Vol. XIII, 1957, pp. 214 — 215.

اما الحفر في الوحدات الخاصة بموجب طريقة المربعات الشبكية فهو اكثر الطرق صلاحا في المواقع الصغيرة المهمة جدا حيث يسير العمل بعناية فائقة للعثور على اثار جديدة وبموجب هذه الطريقة يتم الحفر في مكان معين اعتبارا من سطح الارض وحتى التربة العذراء بشكل تدريجي وفي طبقات متجانسة العمق يتراوح عمقها بين القدم الواحد والثلاثة اقدام وفي الكهوف ينبغي ان يكون عمق الطبقة الواحدة اقل من قدم واحد نظرا لصلابة التربة ولاحتمال وجود اثار قديمة جدا في حالة رديئة تدعو الى البحث الدقيق ببطء . ومن الضروري في جميع الحالات الاحتفاظ باستقامة واستواء جانب واحد من جوانب هذا المكان لمتابعة التغييرات التى تطرأ على لون التراب ومواد البناء . وعند الانتهاء من التنقيب في هذا المكان يبدأ الحفر بالمكان المجاور له وبنفس الطريقة وحتى التربة العذراء ايضا وفي كثير من الاحيان تستلزم ظروف التنقيب البدء بحفر المكان المجاور اذا بقي قسم من المخلفات مدفونا فيه ويفضل ان يحفر في اماكن اخرى قريبة من بعضها يوصل بينها ان كانت مثمرة وفي معظم الحالات تصبح هذه الحفر الصغيرة المتجاورة حفرة كبيرة واحدة . تساعد هذه الطريقة على ضبط الطبقات وملاحظة التغييرات فيها وتصلح للاستخدام في المناطق السهلية حيث تتوفر التربة الرخوة .

اما الحفر بحسب طبقات البناء فهو اكثر انواع الحفر اقتصادا بالنفقات في مواقع القرى والمدن الاثرية ذات المساحة الواسعة والتركيب المعقد حيث تتوفر انقاض الاكواخ والدور والقصور والمعابد والمساجد وغيرها على بعضها ومن المفيد ان يبدأ الحفر في المكان الذى توجد فيه هذه الاثار البارزة او عند العثور عليها تحت التراب حتى الوصول الى نهايتها ويعتبر هذا العمق طبقة واحدة تتميز بوجود جدار أو مخلفات معبد او كوخ وتسمى هذه المخلفات بالجدار الاول او المعبد الاول او الكوخ الاول (٥٢) بدلا من الطبقة الاولى وتعرف نهاية هذه المخلفات عند الوصول الى قاعها الذي يتميز بصلابة تربته ولونه الداكن أو احجاره المبلطة أو طابوقه المرصوف ثم يستمر الحفر حتى قاع مخلفات المباني التي ترقد تحت مخلفات المباني الاولى لاظهار الجدار او الكوخ او المعبد الثاني وهكذا حتى التربة العذراء التى تخلو من الاثار .

٥٣- Starr, R., Nuzi, Vol. I, 1939, pp. 18 — 30, 62 — 122; Tobler, 1950, pp. 6 — 50.

ان اكثر الصعوبات التي يلاقيها المختصون عند التنقيب في المواقع القروية تظهر عند البحث عن جدار بني باللبن لاظهاره وتمييزه عن الانقاض الاخرى المجاورة لها فالتبن الذي اختلط بالطين للشد وهو اهم ما يميز اللبن قد تأكل بمرور الزمن ولم يبق له اثر واضح للعيان ولذلك يصعب تمييز الجدران المبنية بمثل هذا اللبن خصوصا اذا كانت الطينة المجاورة للجدار هي نفس طينة اللبن وقد يهدم المنقب مثل هذا الجدار دون علم منه كما حدث لاحد المنقبين الذين حفروا لاول مرة في موقع قروى مصرى اذ هدم جدران مبنى من اللبن بلغ ارتفاعها ستة اقدام عند البدء بالحفر ولم تبق من المبنى سوى عتبة الدار الحجرية (٥٤) . وتشتد صعوبة تمييز هذه الجدران اذا سقطت اقسامها العلوية على الارض المجاورة وامتلأ فراغ الغرفة بانقاضها . ان هذه الصعوبات يمكن تذليلهاأو السيطرة عليهابالاشراف الدقيقعلىحفر بطيءيقوم بهمن توفرتلديهم الخبرة وبهذه الطريقة تتميز الجدران لانها اشد تماسكا من الانقاض والاستعانة بالترطيب تترك خطأ فاصلا بين الانقاض والجدران كما ان العدسات المكبرة تبين الحفر التى خلفها التبن البالي في اللبن الذى استخدم لبناء الجدار.

وتأخذ المدن القديمة في الغالب شكل تل مرتفع من الانقاض والتنقيبات الاثرية فيمثل هذه المدن يجب ان تستهدف معرفة مظاهر الحضارات فيمختلف العهود التى مرت بها المدينة اثناء تأسيسها ونموها وتطورها مع بيان خطط المدينة اثناء ذلك النمو والتطور . ان احسن طريقة لاستجلاء معالم هذه المدن هو الحفر من داخل المدينة ويفضل ان تكون نقطة البداية في وسط المدينة(٥٥) لان هذا الوسط يمثل مركز المدينة كما يمثل اقصى ارتفاع سكنه الانسان وعند الانتهاء من الحفر في المنطقة الوسطى تفتح الحفر الاختبارية باتجاهات مختلفة للبحث عن اسوار المدينة وتحصيناتها التي تعتبر من الخصائص البارزة فياغلب المدن القديمة . اما اذا بدأت التنقيبات في نقاط متباعدة عن بعضها في وسط المدينة او في اطرافها كما يحدث في المدن الحديثة التي تطورت من اصل قديم حيث يتعذر التركيز على تنقيب سليم ومثمر النتائج فلا ينتظر الحصول على فكرة واضحة لتسلسل الادوار الحضارية ولا تنطوي التنقيبات التي تجرى بهذه الطريقة في خنادق متناثرة الا على الضياع في الجهود والنفقات .

٥٤- Woolley, L., Diggnig up the Past, 1960, p. 54.

٥٥- Wheeler, M., Archaeology from the Eath, 1954, p. 86.

ان التنقيبات الاولى التي قام بها الافراد او التي تعهدتها المؤسسات العلمية في القرن التاسع عشر استهدفت جمع الاثار الفنية الكبيرة كالتماثيل او الاثار النفسية كالحلي الذهبية التي تستهوى الناس عند عرضها لهم في المتاحف ولم يجري البحث عن تلك الاثار بالطرق الدقيقة التي تضبط فيها الطبقات وتراقب التطورات في التغييرات الجيولوجية والانثرويولوجية والجغرافية والفنية كما ان طريقة التنقيب لم تكن تتجاوز الحفر الاعتيادى لاستخراج الاثار ونقلها • اما الحفر الاثرى الحديث فيبدأ من سطح الارض وحتى التربة البكر بخطوات تدريجية تتناول كل الاثار الكبيرة والصغيرة وكل ما له علاقة مباشرة او غير مباشرة بها مثل هياكل العظم الادمية والحيوانية وبقايا النباتات والحاصلات الزراعية ونوع الصخور اضافة الى طرق البناء وطرز الفن ويبدأ الحفر عادة بازالة الطبقة العليا من التربة التي جمعتها عوامل الطبيعة منذ زمن قديم وقد يبلغ سمك هذه الطبقة نصف القدم او اكثر قليلا في المناطق الجافة بينما يبلغ العقدتين في المناطق الرطبة وتكون في هذه المناطق متماسكة لكثرة ما يمتد فيها من جذور نباتات كثيفة • وبعد ازالة هذه التربه يستمر الحفر شاقوليا الى عمق قدره بقدر لسان المعول المعدني اى حوالي القدم الواحد وعند ذاك يأخذ الحفر اتجاها افقيا لاستخراج الاثار من الانقاض المتجمعة في هذه البقعة المحفورة واذا وجدت مواد اثرية في تلك الانقاض يجب ضبط مكانها وتسجيل المعلومات الضرورية عنها وتصويرها حيث وجدت اذا دعت الضرورة ثم تحفر مقادير اخرى بنفس الطريقة وتستخرج اثارها وهكذا حتى يبلغ العمق حوالي الثلاثة اقدام وعند ذاك تعتبر هذه الانقاض طبقة اولى ثم يستمر الحفر في طبقة ثانية وثالثة حتى التربة البكر او القاع الصخرى حيث يتوقف ظهور الاثار • وفي المناطق القريبة من مصادر المياه يحدث احيانا ان تنز الارض وتغمر المياه حفرة الاثار فعلى المنقب ان يواصل البحث تحت الماء وبامكانه تقدير العمق بمسطرة طويلة اما اذا كانت المياه عميقة جدا وتوفرت المقدرة المالية لدى الهيئة فلا بأس من الاستعانة بمضخة لتفريغ المياه واذا كانت التنقيبات بالقرب من القرى والمدن الاهلة بالسكان فمن الضرورى اعادة التراب الى الحفر بعد الانتهاء منها لان بقاءها مفتوحة يساعد على تجمع الاوساخ والمياه الاسنة مما يسبب اضرارا في الصحة العامة •

ان الموقع الاثرى الذى يتعرض للحفر هو موقع فريد لا يشبهه موقع اخر تمام الشبه والمادة الاثرية التى تستخرج منه لا يمكن اعادتها الى مكانها الاصلي ولذلك اصبحت طريقة الحفر التى يستخدمها باحث الاثار ودقة ملاحظاته وسجلاته وخرائطه والرسوم والصور التى اعدها للتوضيح هي المقاييس الرئيسية لتثمين جهوده وهي المصدر الوحيد لدراسة نتائجها .

ان التنقيب في الموقع الاثرى يعني هدم ذلك الموقع وازالته من الوجود واذا حدث هذا فلا يبقى من الموقع الا ما احتوته سجلات المنقب التى يجب نشرها في تقرير عام والا اعتبرت تلك التنقيبات تخريبا تستوجب اللوم ما لم يبرر التقصير في عدم النشر باعتبارات مشروعة كالعوز المالي او العمليات الحربية او الارتباكات السياسية .